
سلسلة موطني
10
سبايكر
الجحيم الصامت
سيناريو: أحمد الخفاجي
رسم: مصطفى الكلابي
(Meethalows)
مناسبة لعمر
15+

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

الإشراف:
محمّد العلوي

إدارة التحرير:
حيدر محمّد الكعبي

الإخراج الفنّيّ:
ذو الفقار الحلو

التدقيق اللُّغويّ:
محمّد الحسين

الطبعة الأولى
٢٠٢٥

سبايكر

الجحيم الصامت

سيناريو: أحمد الخفاجي
رسوم: مصطفى الكلابي
(Meethalows)



أجاهزٌ كي نبدأ؟
دائمًا...
كليك
هل كان الأجرُ مُجزيًا فالتَحقت حينَها؟
الأجرُ لم يكُن غايتي
بل كنتُ أصبُو لهذا
فهمتُ مقصدَك، هلّا سردتَ قصَّتك؟
كيف نجوتَ من فكَّي الموتِ وقتها؟
دعني يا حضرةَ الصحفيّ أقصّ عليكَ قصّةَ خليلينِ ما فرَّقهما شيءٌ غير الموت


في ذلكَ الصَّباح، جُمعنا بنداءٍ لأحد القادة يُخبرنا بأنَّ الكلَّ سيحصلُ على إجازةٍ لعدةِ أيّامٍ للراحةِ وتأمينِ السَّلامة للجميع .
فالوضع أصبح خطرًا جدًا في معسكر سبايكر بعد أنْ أُسقطت محافظة الموصل من قِبَل الدواعش.
أُمِرنا بترك السلاحِ و ارتداء ملابسنا المدنيّة بدلًا من الزّيّ العسكريّ لنخرج من المعسكر راجلين حتّى نصل إلى العربات التي ستُقلّنا إلى سامرّاء، ومنها يعود كلُّ فردٍ إلى مدينته.


كنّا مخدوعين إذ حسبنا أنَّ الأملَ خلف تلك الجدران...
فلم يخطرْ ببالِ أيٍّ منّا أنَّ عبور تلك البوّابة أشبه بالسَّير بين قرني الشيطان!


بعدَ سير عدّة أميالٍ وبابتعادِنا عن المعسكر بدأنا نرى حشودًا من التنظيم الإرهابيِّ في انتظارنا
كان الأوانُ قد فات على التَّراجع لا سيّما بوجودِ السيّارات التي أحاطت بنا من كلِّ صَوب، موجّهةً أسلحتَها نحوَنا.
حُشِرنا تحت تهديد السِّلاح داخل المركبات، حتّى سحقَ بعضُنا بعضًا بسبب كثرتِنا وتكديسِنا في السيّارات
ثمَّ اقتادونا مكبَّلين نحو القصور الرئاسيّة فبدَت أبوابُها كأفواه الوحوشِ لا تشبعُ مهما أطعمتها


كان أوّل من استُشهد بعد وصولِنا إلى القصور هم ذَوو الرُّتَب فينا، فكلّما اكتشفوا بينَ الحشود ضابطًا قتلوه من فورهم ثأرًا وتنكيلًا.
عليّ...
عليّ...
هاتِ يدكَ لأقطعَ الحبلَ فقد نجحتُ في تحرير نفسي
سنحاولُ الحصول على أيّ سلاح يُعيننا على تحرير أكبر قدرٍ من الطلبةِ للهروب
إنْ حدث وافترقْنا بسبب الفوضى، فاهرب باتّجاه البساتينِ، وسنلتقي فيها


فيمَ تتهامس
الأغنام؟
أريدُ ماءً، أنا
عطشان
دعني
أسقِك
بنفسي
إذن

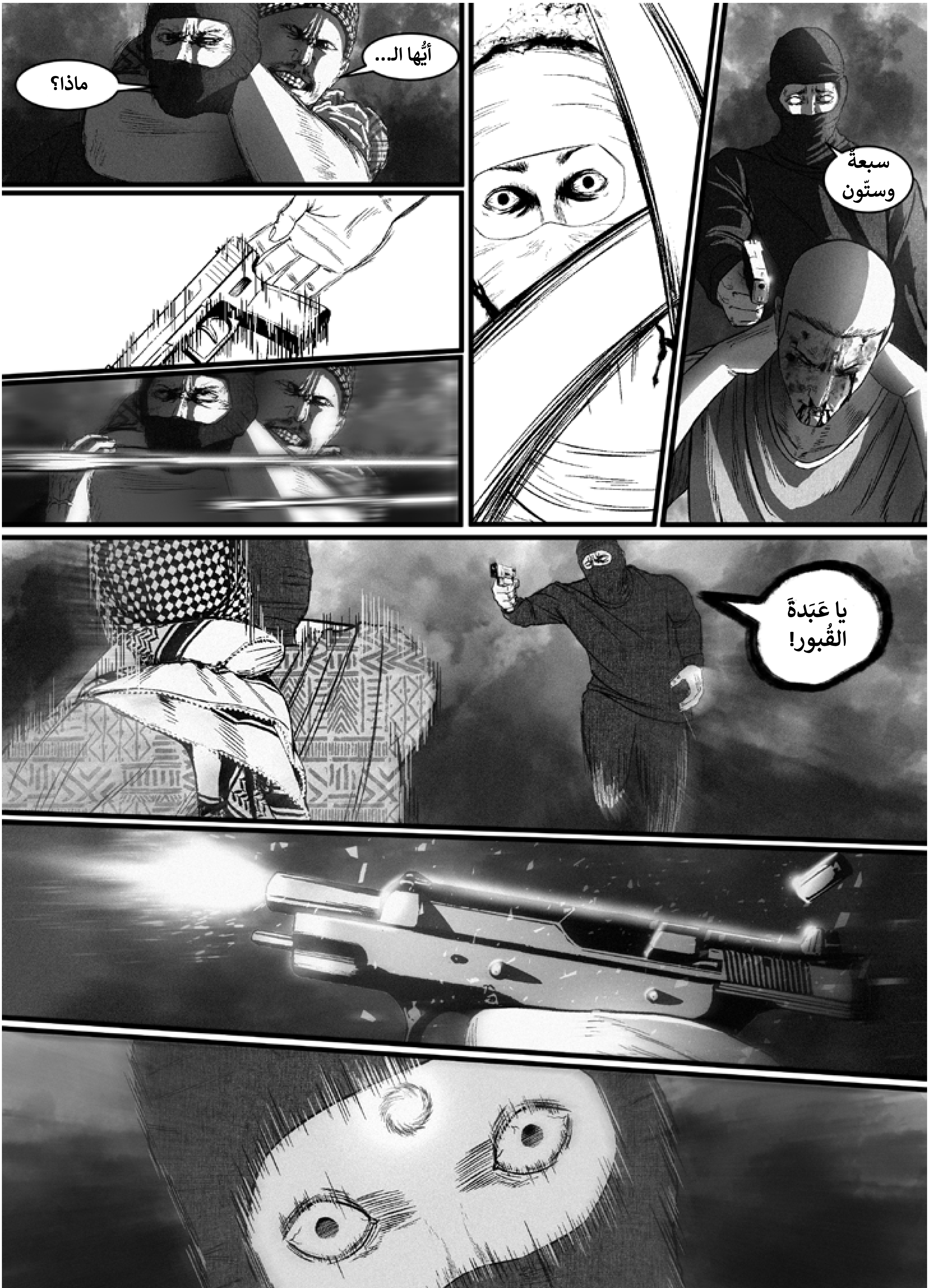

أ ما زلت عطشانَ؟
أ تُريد مزيدًا؟
اشرب أكثر!
لقد ارتَويت...
جيّدٌ، فقد حان وقتُ الطّعام
حيدر...
فلتعِش...


يعدُّ عديمو الضّمائر أولئك الإعدام فنًّا لا بدَّ من الإبداع فيه، فترى تنوُّع طرقهم في القتل بين دفنٍ و إطلاق نارٍ وذبحٍ وتقطيعٍ بالمناشير
لكنّني أجزم أنّ الدَّفن حيًّا كانَ أبشعها وأكثرها إيلامًا، طبقاتٌ من التُّراب والبشر تعلوها طبقات... فالضَّغط رهيبٌ وكفيلٌ بتكسيرِ الأضلاع لمن هم في الأسفل والخنق البطيء مصير من في الأعلى.
دورك أيُّها الحثالة


كم أودُّ تفجير رأسِك
لكنَّ الرَّصاص أغلى من صرفه على الصَّعاليك أمثالكم
لذا قرَّرنا الاحتفاظ به لعائلتك
أمّا النفاياتُ فتُ دفن


كان الحظُّ حليفي، فقد حرّرنا أيدينا من قبل، فمن المستحيلِ اتّخاذ وضعيّة مناسبة للاحتفاظ ببعض الهواءِ تحتَ التُّراب مع وجود القيود.
لقد عُدت للتدوين ثانيةً، ألست تسجّل كلّ حرف؟
أسجّلُ ما تنطقه و أدوّن ما أشعرُ به
دعك منّي واستأنفْ لي سرد الأحداث
ما أجمل أنْ نستطيعَ تدوين كلّ ما نشعرُ به...
لم يكن الأمر أقل بشاعةً على الجانب الآخَر، فلم يرحم الإرهابيّونَ أيَّ شخص صغيرًا كان أو كبيرًا

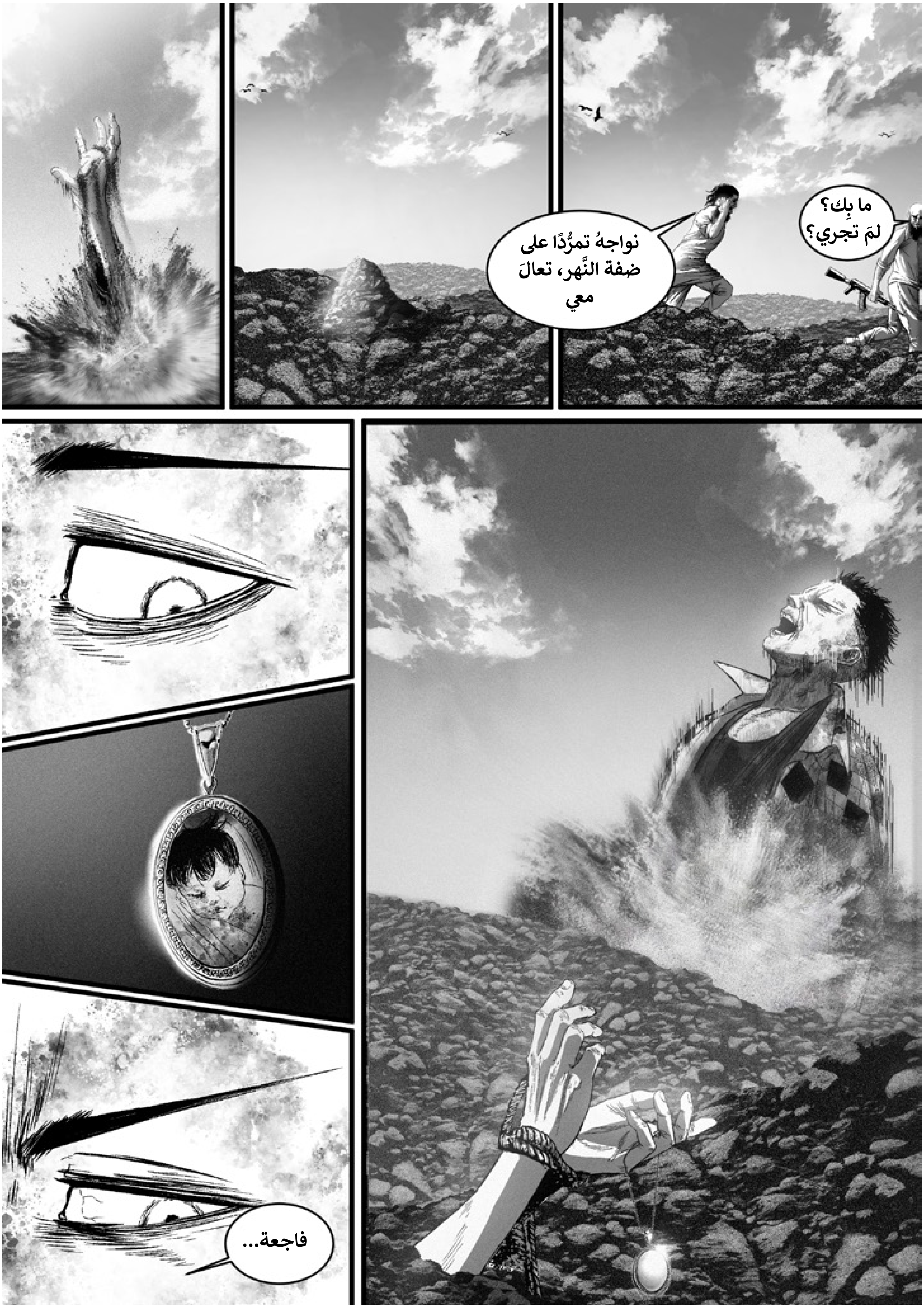

اقتادوا مجموعةً أخرى إلى ضفة نهر دجلةَ القريبةِ من القصر حيثُ قتلوهم رميًا بالرّصاص
لم يُنظر لأيِّ أحد كبشرٍ، فسرورُهم بالقتل كان واضحًا على وجوههم
وبعضُ بُقع الدّماء بقيتْ آثارُها إلى يومنا هذا
اجلسْ
واتنتظرْ دوركَ كخروفٍ مُطيع


سبعةٌ وستّون
أيُّها الـ...
ماذا؟
يا عَبَدةَ القُبور!


لا وقتَ للتَّفكير، اهرب فحسبُ
سأتولّى حمايتَك فأنا بالفعلِ مُصاب
آسف...
لديّ تسعُ رصاصاتٍ في المخزن
لم نخشَ نفاد الحجارَة في مقالعِنا عندما كُنّا أطفالًا


هل بدأتَ تشفى من السَّرطان يا أخي؟ أم أنَّك ستُقلِقُنا عليك بعد؟
أعلم أنّي وعدتُك بمساعدتك في تكاليف علاجِه يا أبي بعد أنْ بعتَ آخر خاتمٍ لوالدتي، لكن يبدُو أنّني لنْ أقدر
أنا آسفٌ يا أبي
جفّتْ عيناكِ من البُكاء والدُّعاء لأخي يا أمّي
تُرى هل تذكُرينَني في دُعائك؟
يا أمّاه...


قُل لي يا حضرةَ الصحفيّ، هل سمعت يومًا بما حلَّ بالجنود الألمانِ في الخنادقِ أيّام الحرب العالميَّة الأولى؟ أ سمعتَ يومًا بمصطلح صدمة القَصف؟ إنْ كنت سمعتَ به فنحنُ قد عشناه...


ما بِك؟
لمَ تجري؟
نواجهُ تمرُّدًا على ضفة النَّهر، تعالَ معي
فاجعة...


إنْ حدث وافترقنا فأهربْ باتّجاه البَساتين، وسنَلتَقي فيها
لا تخطُ فَوقي
فأنا لستُ تُرابًا
بل بشرٌ لي اسمٌ مثلك
خُذني معَك
أرجوكَ ابقَ معي فالأرضُ باردة
أتوسَّلُ إليك، لا تتركني، فلدَيَّ أطفال
أخرجنا
أخرجنا
أخرجنا
أخرجنا
أخرجنا
أخرجنا
أخرجنا
أخرجنا
أخرجنا
أخرجنا
أخرجنا
أخرجنا






حيدر...!


ماذا؟
إنْ تحرَّكتَ سأقتُلُك
إهدأ يا عليّ
فهو ليسَ منهُم
إنّه فلّاحٌ طيّب قال أنّه سيوصلُني إلى ناحية «العَلَم»


واخيرًا
أوّل محاولةٍ للمساعدةِ حصل عليها الطلبَةُ بعد خروجِهِم من المعسكر
أنت مُخطئ يا أخي
أوّل محاولة للمساعدةِ كانت قبل خروجِنا من القاعدةِ، إذ حاولت كتيبةٌ من الفرقةِ الذهبيّة منعنا من الخروج
إنِّي أكره تذكّر ذلك، كنت أحمقَ بعدمِ تصديقِ من حاولوا حمايتَنا، واتّبعت ذلك الماكر الذي عدَدتهُ قائدًا
أمّا الفلّاح فلم يكن إلّا خدعةً اكتشفْناها بسرعة
وددتُ لو تخلّصتُ منهُ حينها
أخبرَنا بأنّه سيؤمِّن لنا طريق الهروبِ نحو ناحيةِ «العَلَم»
فالإرهابيّون الخنازيرُ -كما سمّاهم- كانوا في نزاعٍ مع الأهالي في تلكَ المنطقة، ثمَّ غادَرنا على عجَل...
لم تمضِ سوى دقائقَ فوجَدنا علَم الدواعش مُخبَّأً في كوخه، فعرفنا مكره وتبيّنّا منه الغدر


كانَ علينا التحرّك بأسرع ما يمكن؛ فالموتُ في الطَّريق إلينا، فأخذنا من دار الفلاح بعضَ ثيابه، ثمَّ استولَينا على عربةِ الحمل وانطلقنا
لكنَّنا على الأقلّ حصلنا منه لأنفُسِنا على وجهةٍ، وهي ناحية «العَلَم»


بعد أميالٍ كان علينا المرور بإحدى سيطراتِ الدَّواعش فكانَ التزامُ الهدوءِ سلاحنا الوحيدَ حينَها
قفْ وعرّف نفسك
أنا سَمير، وهذا قيس، نحن ننقلُ الحصاد
أعطِ الرِّجال بعض الزرع يا قيس
لكلٍّ منكم واحدةٌ فكُلوها هنيئًا
تبدو لذيذَةً
واحدة أُخرى
تستَطيعانِ الذَّهاب بأمان


لدينا اتّصال عاجل
ممّن؟
إن ابتعَدنا بما يَكفي فتعالَ إلى جانبي يا حيدر
أنا آتٍ



لم يعُد أمَامنا إلا القليلُ لنصلَ إلى ناحية «العَلَم»
وأظنُّ أنَّ هذه هي آخر سيطرةٍ في طريقنا
بقي قليلٌ بيننا وبينَ الدِّيار
أجل، لا بُدَّ أنّ ابنتَك تنتظرُك
ذكِّرني باسمِها من فضلك؟
حسنًا أيُّها الرّجلُ الحسّاس
أرجو أنْ تكونَ كأُمِّها خَلقًا وخُلُقًا
أخبرتُك ألف مرّةٍ أنّي سمّيتها «دلال»


فهي كارثةٌ إنْ كانت تشبهك...
!!!


لقد وجدناهُما يا مَولانا، وسنُرديهِما قتيلَين
لا
أريدُهُما حيَّين...
فصِغاري يكادونَ يموتونَ جوعًا


نادِ الرِّجالَ...
أسرِعْ


هيّا
يا حيدر،
كِدنا
نصِل
اتركني واهربْ،
فأنا مُصاب
أقفِلْ فمَك


حمدًا لله...
اركضْ يا عليّ


اركضْ بأقصى ما تستطيعُ
اركضْ لننجوَ معًا من هذا الجَحيم
اركضْ... فلا يفصلُنا عن لقاءِ أهلِنا إلا بضعةُ أمتار
تحمّلْ قليلًا يا أخي فهذا ليس يومَ رحيلِك
اركضْ... حاملًا أخاكَ.. فكلّي يقينٌ بأنك لنْ تتركَني وَحدي
كدْنا نصلُ يا حيدر
اركض يا عليّ...


لمْ أعُد أسمعُ صوتَ الرَّصاص...
أوصيكَ بابنَتي بعدي.. كُن يا عليُّ أباها...
وواصل دومًا الرَّكضَ والتقدُّم...


حيدر...!
فأنا درعُكَ... ما دمتَ تركُض...


صباحُ الخيرِ أيُّها الفتى...
قُل مرحبًا لصغاري، فقد حانَ وقتُ غدائهم
كنتُ أرجو إطعامَهُم صعلوكَينِ من الروافض
لكنَّهُم يفضّلونكُم أحياء، ومن حُسن حظِّ صديقِك أنَّهُ نفَقَ...


ماذا؟
لا أعلم أيُّ الحالتَينِ أقذرُ...
أنْ تكونَ جثَّةً أو برازَ كلب
احذرُوا فالفَتى مُصاب
لا تُبقوا منهُم أحدًا


!!!
تبًّا...
تبًّا...
تبًّا...


أجيبوا أيُّها السَّفَلة
عليكُم اللَّعنةُ جميعًا
لمَ العجلَة؟


يا حفنةً من شرِّ ما خُلق
أ ترَونَ أنفُسَكم ضباعًا تنهشُ لحمنا؟
بجهلٍ ظننتمُونا أغنامًا أُتيحَت لأنيابِكُم...
وما خانتكم إلا نفوسُكُم...
ألا تُبصرونَنا أُسودًا أمامَكُم...
ونارًا تُحرقُكم...
ورياحًا تذروكُم؟


يا فتى...
إهدأ... فأنتَ الآن ضيفٌ لرجالِ ناحية «العَلَم»



هنا يرقد
أخي
حتّى الأموات لم يسلَمُوا من بطشِ من لا يعرفون السّلْم
إذ كانوا ينبشونَ كلَّ قبرٍ مشيدٍ، لا سيّما تلك التي تحمل أسماءَ شيعة أهل البيت (عليهم السلام)
فأضطُررتُ إلى دفنِ صديقي من دون تشييدِ قبرٍ يليق به، مع جملةٍ بسيطةٍ كتبتُها على لوحٍ من حجر للدلالةِ على مكان القبر
نزلتُ ضيفًا في السبعة عشر يومًا التي تلَتها في منزل السيِّدَة عليّة خلف التي تعرف باسم «أمّ قصيّ»
كنا خمسةً وعشرين شابًّا، لجأنا إلى منزِلها فلَم نلقَ منها إلا كلَّ جميل


عاملَتنا أيّام مكوثِنا كأبنائها وبالرّغم من خسارتها زوجَها وابنَها وابنَ أخيها لم تستسلم للألم
هي من النِّسوةِ اللائي قلَّ نظيرُهنّ
سمعتُ أنَّها قد حصلت على جائزةِ نساء الشجاعة الدوليّة
ثمّ؟
تمكّنَت من نقلِنا بطرائقَ مختلفةٍ إلى محافظة كركوك التي لم يحتلّ الإرهابيّون فيها سوى منــطقة «الحويجة»
ثمَّ ركبَ كلٌّ منّا إلى محافظته لكي نلقى أهالينا
لكنَّ الحزن هو كلّ ما كان ينتظرنا


لم يزَل الحزن يؤرِّقُني
كلّما تذكّرت لحظة لقائي
بزوجة صديقي العزيز، لكي
أُخبرَها باستشهادِ زوجها
جراحٌ لم تلتئِم إلى يومنا هذا، هي
كلُّ ما جنيناهُ، كم تمنَّيتُ لو أنّي
متُّ مرارًا وتكرارًا بدلًا من أخي


كليك
بهذا نختمُ اللقاء
سأحرصُ على سرد القصَّةِ بكلِّ خباياها وتفاصيلِها
سأكون شاكرًا
هل لي بسؤالٍ أخير؟
هل خسرتَ ساقَك في تلكَ الفاجعة...؟
لا، إنَّ لها قصّةً أُخرى يمكن أن أحكيَها لك في لقاءٍ آخر
أمّا الآن، فاسمح لي بالذّهاب، لقد حانَ موعدُ إعادةِ دلال من المدرسة

النهاية

تُعدّ سبايكر من أعظم الفجائع التي مرّت بالشعب العراقيّ في مرحلة الإرهاب الداعشيّ، إذ راح ضحيّتها أكثر من ١٧٠٠ شابٍّ عراقيّ في عمر الزهور. لم تأخذ هذه الحادثة حقَّها من ذاكرة الأجيال، ولكونها أمانة يحمل الجميع مسؤوليَّتها، تأتي هذه القصَّة التي نُفِّذت بفَنِّ المانجا الشائق لتوثِّق الحادثة بطريقة مبتكرة، لتكون للأجيال درسًا وعبرة يُفيدون منها للحصول على غدٍ أفضل.

الطبعة الأولى
٢٠٢٥